ـ البـابُ الأوَّل:

الشَّـاعِــر
أحمـد بخيـت

۞ ـ أحمد بخيت

ـ حَيَاتُهُ وَسِيرَتُهُ ... فِى سُطُور :

هُوَ أحمد بخيت ؛ شاعرٌ مصرىٌّ ؛ وُلِدَ فى ٢٦ فبراير من عام ١٩٦٦م بمدينة أُسيوط بِمُحافظة أسيوط .

عاش طُفُولته وتلقَّى تعليمة فى القاهرة ؛ وتخرَّج من كُلِّيَّة دار العلوم عام ١٩٨٩م ؛ ثُمَّ عَمِلَ مُعيداً بقسم النَّقْد والبلاغة والأدب المُقارَن بكلِّيَّة الدراسات العربيَّة والإسلاميَّة « جامعة القاهرة ـ فرع الفيوم » مُنْذُ عام ١٩٩٠م لِمُدَّة خمس سنوات ؛ ثُمَّ ترك العمل الأكاديمىَّ ليتفرَّغ للكتابة منذ١٩٩٥م .

ـ مُؤلَّفاتُه :

صدر لأحمد بخيت عِدَّة دواوين ؛ وهى :

ـ وداعاً أيَّتُها الصَّحْراء : عام ١٩٩٨م .

ـ لَيْلَى ... شَهْدُ العُزلة : عام ١٩٩٩م .

ـ صَمْتُ الكَلِيم : عام ٢٠٠٢م .

ـ جزيرة مِسْك : عام ٢٠٠٢م .

ـ وَطَنٌ بحجم عُيُوننا : عام ٢٠٠٣م .

ـ الأخيرُ أوَّلاً : عام ٢٠٠٤ م .

ـ بُيُوتُ الأَحِبَّة .

ـ صغير كبير : شعر للأطفال : ٢٠٠٥ م .

ـ كبير صغير : شعر للأطفال : ٢٠٠٦م .

ـ عُيُون العالم : شعر للأطفال .

ـ ظلٌّ ونُور : شعر للأطفال .

ـ بُرْدَةُ الرَّسُول ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ : شعر .

ـ عبقريَّةُ الأداء فى شِعْرِ المُتنبِّى : دراسةٌ نقديَّةٌ .

وَتُرْجِمَ لَهُ :

ـ ليلى ... شهد العُزلة : إلى الإنجليزيَّة والفرنسيَّة .

ـ صمت الكليم : إلى الإنجليزيَّة والفرنسيَّة .

ـ بعض القصائد تُرْجِمَت إلى الإيطاليَّة والإسبانيَّة والألمانيَّة .

ـ الجوائز والتقديرات :

ـ الجائزة الأُولى فى الشِّعْر : المجلس الأعلى للثقافة : أعوام : ٨٧ ـ ٨٨ ـ ١٩٨٩م .

ـ جائزة أمير الشُّعراء أحمد شوقى : عام ١٩٩٨م .

ـ جائزة « المُبْدِعُون » لأفضل قصائد عربيَّة : الإمارت : ٢٠٠٠م .

ـ جائزة المُنتدى العربىُّ الإفريقىُّ ـ أصيلة ـ المغرب : ٢٠٠٠م .

- جائزة الدولة التشجيعيَّة فى الشِّعر : مصر : ٢٠٠٠م .
- جائزة « المُبْدِعُون » لأفضل دواوين عربيَّة : الإمارت : ٢٠٠٢م .
- جائزة « البابطين للإبداع الشِّعْرِىِّ » : الكويت : ٢٠٠٢م .
- جائزة الشَّارِقَة للإبداع فى أدب الاطفال : ٢٠٠٥م .
- جائزة البُرْدَة الشَّريفة : أبو ظبى : ٢٠٠٥م .
- جائزة شاعر مَكَّة محمد حسن فقى : مُؤسَّسة يمانى الخيريَّة : ٢٠٠٥م .
- شارك فى :
- مُؤتمر الشِّعْر العربىِّ الثانى : عمَّان ـ الأردن .
- مُؤتمر الشِّعْر العربىِّ الثالث : عمَّان ـ الأردن .
- مهرجان أصيلة : المغرب .
- مهرجان جرش : الأردن .
- مهرجان البحر المُتوسِّط : إيطاليا .
- مهرجان فيلادلفيا لشُعراء حوض المتوسط .
- مئويَّة الميلاد والرَّحِيل : ضمن احتفاليَّة البابطين : الكويت .
- دورة ابن المُقرّب العيونىّ : البحرين .
- معرض القاهرة الدولىّ للكتاب .
- عُضو جمعيَّة المُؤلِّفين والمُلحِّنين بباريس .

ـ عُضو أتيليه القاهرة للأُدباء والفنَّانين .

ـ عُضو دار الأُدباء بالقاهرة .

۞ ـ شَاعِرِيَّة أَحْمَد بخِيت

حِينَمَا تَنَبَّأَ بَعْضُ النُّقَّادِ بِأَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ سَيُعِيدُ لِلقَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ مَجْدَهَا وَجَمَالَهَا ؛ صَدَقَت نُبُوءَتُهُ بِجَلاءٍ رَائِعٍ!! ؛ وَمَا ذَلِكَ لِكَوْنِهِ كَانَ يَنْظُرُ فِى أَحْدَاثِ غَيْبٍ مَجْهُولٍ ؛ بَل لِكَوْنِ دَلائِلِ العَبْقَرِيَّةِ كَانَت تَتَبَدَّى فِى جَلاءٍ مُنْذُ ظُهُورِ البَوَاكِيرِ الشِّعْرِيَّةِ لِهَذَا الشَّاعِرِ ؛ فَقَد امْتَلَكَ نَاصِيَةَ اللُّغَةِ الَّتِى أَحَبَّهَا وَأُغْرِمَ بِهَا ؛ وَعَرِفَ مَا هُوَ المُرَادُ بِاللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ ؛ فَلَم يَتَعَالَم بِمُعْجَمِهِ اللُّغَوِىِّ فِى نُصُوصِهِ الشِّعْرِيَّةِ فَيَأْتِى بِالأَلْفَاظِ الوَعِرَةِ الجَافَّةِ المُسْتَغْلَقَة ؛ وَكَذَلِكَ فَقَد نَأَى بِنَفْسِهِ عَن اللُّغَةِ المَقْتُولَةِ المُبْتَذَلَةِ بِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَال... ؛ عَلَى أَنِّى أَقُول : إِنَّ قُوَّةَ هَذَا الشَّاعِرِ الحَقِيقِيَّةَ إِنَّمَا تَكْمُنُ فِى رُوحِهِ الَّتِى تَشْعُرُ بِالغُرْبَةِ الوُجُودِيَّةِ مِن جِهَةٍ ؛ ثُمَّ فِى ضَمِيرِهِ الإِنْسَانِىِّ الصَّحِيحِ الصَّادِقِ مِن جِهَةٍ أُخْرَى... ؛ وَعِنْدِى أَنَّ مَن حَازَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الوِجْدَانِيَّةِ ؛ ثُمَّ وُجِدَت المَوْهِبَةُ وَالطَّبْعُ السَّلِيم ؛ وَتَوَافَرَت الأَدَوَاتُ وَالشُّرُوطُ العِلْمِيَّةُ الآلِيَّةُ : كَانَ قَمِينًا بِأَن يَأْتِى بِالأَعَاجِيب .

قُلْتُ : إِنَّ قُوَّةَ هَذَا الشَّاعِرِ الحَقِيقِيَّةَ إِنَّمَا تَكْمُنُ فِى رُوحِهِ الَّتِى تَشْعُرُ بِالغُرْبَةِ الوُجُودِيَّةِ ؛ وَالَّتِى لا تَنْشَأُ إِلاَّ إِذَا كَانَ هُنَاكَ اسْتِعْدَادٌ فِطْرِىٌّ لِلشُّعُورِ الدَّائِمِ بِالغُرْبَةِ الوِجْدَانِيَّةِ النَّاتِجَةِ عَن حِدَّةِ الحِسِّ الشَّاعِرِىِّ ؛ ثُمَّ جَاءَت أَحْدَاثُ الحَيَاةِ لِتُعَمِّقَ مِن جُذُورِ وَأُصُولِ ذَلِكَ الأَمْر .

طَالَ انْتِظَارُهُ لِوَالِدِهِ الَّذِى تَغَرَّبَ فِى البِلادِ كَى يَكْفُلَ لأَبْنَائِهِ حَيَاةً كَرِيمَةً ؛ كَانَ الشَّوْقُ قَـد بَلَغَ بِهِ مَبْلَغَاً عَظِيمَاً !!... ؛ فَهُوَ يَنْتَظِرُ وَالِدَهُ بِعَاطِفَةِ الابْنِ البَار ؛ ثُمَّ تَأْتِى مَشَاعِرُهُ المُتَاجِّجَةُ والَّتِى تَخْتَلِفُ عَن مَشَاعِرِ الآخَرِينَ مِن حَيْثُ قُوَّتِهَا وَاشْتِعَالِهَا ؛ تَأْتِى لِتُجَسِّد لَهُ صُورَةَ الوَالِدِ الطَّيِّبِ الَّذِى رَضِىَ أَن يُفْنِىَ أَيَّامَ دَهْرِهِ ؛ لا مِن أَجْلِ إِسْعَادِ نَفْسِهِ ؛ بَل مِن أَجْلِ أَبْنَاءِهِ ؛ مِن أَجْلِهِم وَحَسْب : تَغَرَّبَ ؛ وَتَعَذَّبَ ؛ وَعَانَى مَا يُعَانِيهِ أَمْثَالُهُ مِنَ الشُّرَفَاءِ الصُّلَحَاء ... ؛ كُلُّ هَذَا كَانَ يَدُورُ بِعَقْلِ الفَتَى الشَّاعِرِ ؛ فَمَا يَمْضِى يَوْمٌ إِلاَّ وَتَزْدَادُ رُوحُهُ لَهْفَةً وَشَوْقَاً ... ؛ ثُمَّ أَذِنَ القَدَرُ بِاللِّقَاء ؛ وَيَا لَهُ مِن لِقَاء !!

عشرون عـاماً... ؛ فى انتظـار المُلتقـى

ثُمَّ التقينا... ؛ كـى نُتِمَّ وداعنـا !!

وَهَكَذَا تَكُونُ المَأْسَاة !!... ؛ انْتَظَرَ الشَّاعِرُ وَالِدَهُ طُوالَ هَذِهِ السَّنَوَات ؛ ثُمَّ ؟!!

وَلَمَّـا حَانَـت اللُّقْيَـا بَكَيْنَـا إِذ قَـضَى الأَجَـلُ

تَحَمَّلَ الشَّاعِرُ عَذَابَ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ الَّتِى مَا مَرَّ يَوْمٌ مِنْهَا إِلاَّ كَمَـا يَمُـرُّ العَامُ المُوحِشُ الكَئِيبُ الَّذِى لا يَبْتَغِى أَن يَمُرَّ إِلاَّ بَعْدَ أَن يَقْسُو وَيَقْهَر !!... ؛ تَحَمَّلَ وَصَبَرَ مُضْطَرَّاً مِن أَجْلِ أَن يَظْفَرَ فِى النِّهَايَةِ بِرُؤْيَةِ مَلامِحِ وَجْهِ أَبِيهِ السَّمْرَاءِ البَرِيئَةِ الَّتِى لا تَدُلُّ إِلاَّ عَلَى الطِّيبَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالنَّقَاء ... ؛ وَلَكِنَّ الأَيَّامَ أَبَت إِلاَّ أَن تَجُودَ عَلَيْهِ بِتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ فِى ظَاهِرِ الأَمْرِ ؛ ثُمَّ تَأْتِى مِن وَرَاءِ ذَلِكَ بِالخَطْبِ المُوجِعِ الرَّهِيب ؛ وَالَّذِى لَن تَبْرَحَ صُورَتُهُ مِن ذَاكِرَةِ الشَّاعِرِ مَا بَقِىَ وَمَا عَاش !!... ؛ أَن يَحْظَى بِرُؤْيَةِ وَالِدِهِ الحَبِيب ؛ وَلَكِنَّهُ مَا رَآهُ بَعْدَ مَرَارِ انْتِظَارِ

السَّنَوَاتِ الطُّوَال !!... ؛ إلاَّ فِى لَحْظَةِ مُعَانَاةِ آلامِ الاحْتِضَار!!
لَقَد كَانَ قَرِيباً مَعَ كَوْنِهِ بَعِيداً ؛ وَاليَوْمَ مَا أَقْرَبَه ؛ وَلَكِنَّهُ فِى قُرْبِهِ بَعِيدٌ جِدًّا !!
يا نائياً عنِّى بمترٍ واحدٍ
الآنَ !!... ؛ وسَّعْتَ المسافة بيننا !!

ثُمَّ تَسْتَحْوذُ عَلَى الشَّاعِرِ نَوْبَةٌ مِنَ الحُزْنِ الَّذِى يُخْرِجُهُ عَن عَالَمِ الوَاقِعِ وَالعَقْلِ وَالمَنْطِقِ ؛ فَتَأْتِى أَسْئِلَةٌ لا يُؤْمِنُ العَقْلُ بِجَدْوَاهَا ؛ وَلَكِنَّهَا مَا تَأْتِى فِى هَذِهِ السَّاعَةِ إلاَّ مِن قِبَلِ الرُّوح ؛ وَالرُّوحُ فِى هَذِهِ اللَّحْظَةِ قَد أَضْحَت تَائِهَةً فِى عَالَمِ اللاوَعْى الشَّجِىِّ الحَزِين !!

قُلْ مرحباً !!... ؛ قُلْ أىَّ شىءٍ طيِّبٍ !!
لا تترك الكابُوسَ يُفسِدُ حُلمنا !!
كُنَّا نرى الآباءَ حول صغارهم
نشتاقُ أن تأتى... ؛ وأن تحكى لنا !!
﴿ يا ما انتظرتكَ !! ﴾... ؛ وانتظرتك يا أبى !!
الآنَ بادلنى الحديثَ مُكفَّنَا !!

لَقَد خَاطَبَهُ وَالِدُهُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ ؛ أَو قُل : أَلْقَى إِلَيْهِ بِهَذِهِ الوَصِيَّة :

كُن ما أُحبُّكَ
كم أُحبُّكَ فارساً
لا ينحنى فقراً

ولا يطغى غِنَى !!

وَهُوَ مَا يَتَذَكَّرُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ لِيَتَصَبَّرَ بِهَا ؛ بَل لِيَزْدَادَ لَوْعَةً وَشَجَنَاً !!
ثُمَّ تَأْتِى النَّظْرَةُ الغَاضِبَةُ ؛ تَأْتِى هَرَبَاً مِنَ الحُزْنِ القَاتِلِ وَمِنَ اليَأْسِ الَّذِى يُحِيطُ بِعَالَمِ الشَّاعِرِ ؛ تَأْتِى هَرَبَاً مِنَ الحُزْنِ وَتَحَدِيَاً لَهُ فِى آن :

تتبرَّجُ الدُّنيا... ؛ ونكسر كِبرَها
ونقولُ : يا حمقاءُ !!... ؛ غُرِّى غيرنا !!
لا نستجيرُ منَ الجراحِ ؛ وإنما
من فَرْطِ نخوتنا... ؛ نُجيرُ جراحنا

ثُمَّ تَزْدَادُ شَجَاعَةُ الفَتَى فِى هَذَا المَوْقِفِ العَصِيب ؛ فَيُخَاطِبُ وَالِدَهُ الَّذِى فَارَقَ الحَيَاةَ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ الَّتِى تَدُلُّ فِى ظَاهِرِهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ ؛ وَلَكِنَّ جَوْهَرَهَا الكَامِنَ لا يَشِى إِلاَّ بِمُعَانَاةِ التَّصَدِّى لِلَحْظَةِ ثُوْرَةِ البُرْكَانِ الَّذِى يَمُورُ بِنَفْسِهِ وَيُرِيدُ أَن يَنْفَجِرَ لأَنَّهُ مَا عَادَ بِذَرْعِهِ أَن يَكْتُمَ مَا يَجِدُهُ بِرُوحِهِ !!... ؛ إِنَّهُ يُحَارِبُ ضَعْفَهُ الإِنْسَانِىَّ مِن خِلالِ الثَّبَاتِ وَالصُّمُودِ فِى هَذَا المَشْهَدِ المُرَوِّعِ ؛ لأَنَّ هَذَا هُوَ وَحْدَهُ مَا سَيُرْضِى وَالِدَهُ الَّذِى أَنْفَقَ سَنَوَاتَ دَهْرِهِ مِن أَجْلِ أَن يَصْنَعَ رَجُلاً لا يَهْتَزُّ أَمَامَ أَقْسَى المَصَائِبِ وَأَعْظَمِ الخُطُوب :

هَوِّن عليكَ... ؛ فلا هُناكَ... ؛ ولا هُنا
وجهاً لوجهٍ... ؛ قُل لموتكَ... ؛ ها أنا
ضعْ عنك عبئكَ... ؛ والقَ خصمك باسماً

فعلى جسارتهِ... ؛ يهابُ لقاءنا

وَفِي نِهَايَةِ الأَمْرِ ؛ تَأْتِي كَلِمَةٌ أُلْقِيَت لِتُعَبِّرَ عَن كُنْهِ مَا تَجَلَّى عِنْدَ الكَاتِبِ مِن حَقِيقَةٍ تَحَوَّلَت إِلَى عَقِيدَةٍ رَاسِخَةٍ ؛ وَهِيَ أَنَّ الشُّعُورَ بِالغُرْبَةِ الدَّائِمَةِ هُوَ مَصِيرُ الإِنْسَانِ عَلَى هَذِهِ الأَرْض :

أخشى من النِّسيانِ !!... ؛ قد يأتى غدٌ
وتصيرُ وحدَك فى الغيابِ !!... ؛
ووحدنا !!

وَهَكَذَا ؛ ثَبَتَت جُذُورُ هَذِهِ المَشَاعِرِ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ ؛ وَهَا هُوَ يَعْزِفُ نَغَمَاً شَجِيًّا مُعَبِّرَاً مِن خِلالِهِ عَن فَلْسَفَتِهِ وَكُنْهِ مَا يَخْتَلِجُ بِذَاتِهِ وَضَمِيرِهِ ؛ إِذ يَقُولُ فِي بَعْضِ قَصَائِدِه :

وحدى ومن ألفى أسيرُ ليائى
تتوحَّشُ الغُربَاتُ تحت ردائى
أمشى لكى أمشى وتلك إجابتى

إِنَّهُ يَمْشِي وَيَسْعَى عَلَى دُرُوبِ هَذِهِ الحَيَاة ؛ لا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّ هَذَا هُوَ قَدَرُهُ ؛ يَمْضِي وَيَمْضِي حَتَّى تَأْتِي نِهَايَتُه .
ثُمَّ يَتَأَمَّلُ رِحْلَتَهُ مَعَ الحُزْنِ وَالأَلَم ؛ فَيُبْصِرُ نَفْسَهُ وَكَأَنَّهُ نَبِيُّ الغُرْبَةِ وَالجِرَاح :

لى أن تُسمِّينى الجِرَاحُ نَبِيَّهَا
لى أن أقُولَ تباركت آلائى

سُبْحَانَ مَن جعل الشَّهادة مهنتى
والجُرْحَ والسِّكِّينَ من أسمائى

ثُمَّ كَانَت حَادِثَةُ الإِسْرَاءِ فِى حَيَاةِ هَذَا النَّبِىِّ:
فى البدء قالَ: اقرأ... ؛ قرأتُ فصاح بى
لقد اصطفاك الحُزنُ للإسراءِ

وبعد: فِى ظَنِّى أَنَّ مَسْأَلَةً أُخْرَى قَد زَادَت مِن قُوَّةِ شُعُورِهِ بِالغُرْبَةِ وَإِحْسَاسِهِ الدَّائِمِ بِالأَلَم ؛ وَهِىَ مَسْأَلَةٌ تُدْرَكُ عَن طَرِيقِ اسْتِقْرَاءِ أَشْعَارِهِ وَاسْتَبْطَانِهَا ... ؛ أَلا وَهِىَ افْتِقَادُهُ لِلحُبِّ الرُّومَانْسِىِّ الصَّادِق ؛ يَتَجَلَّى ذَلِكَ مِن خِلالِ تَأَمُّلِ مَا وَرَاءِ الكَلِمَات ... ؛ فَهُوَ يَقُولُ فِى بَعْضِ قَصَائِدِهِ:

يتساءلونَ مَن التى أحببتُها ؟!!
ماذا أُريدُ ؟!!
لَقَد كَانَ الصَّوَابُ أَن يَقُول: «يتساءلونَ مَن التى سَأُحِبُّهَا ؟!!»
بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِك: «ماذا أُريدُ ؟!!»
فَهُوَ لَم يَكُن فِى حَالَةِ عِشْقٍ آنَئِذٍ ؛ بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِى أَبْيَاتِهِ بَعْدَ ذَلِك:
يَقُولُ الشَّاعِر:
ماذا أُريدُ ؟!!
أُريدُ نِصْفَ نبيَّةْ
تقسو قُلُوبُ النَّاسِ

وهْىَ غفورةٌ
وتخونُنى الأيَّامُ
وهْىَ وفِيَّةْ
وتكونُ واضحةً كشمسِ
بلادِنا
وعميقةً
كقصيدةٍ صُوفِيَّة
ووقورةً
كصلاةِ قلبٍ خاشعٍ
وطَروبةً
كالنَّسمةِ البحريَّةْ
وتكونُ ناعمةً
كصُبْحٍ مُطْرٍ
وقويَّةً
كالمُهرةِ البدويَّةْ
فيها من النِّيلِ العظيمِ
تواضعٌ
وبها شُمُوخُ مَسلَّةٍ مصريَّةْ
عربيَّةً

فى ضحكِها

ودموعِها

وأنا شهيدُ دموعِها

العربيَّـةْ

وَهَكَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ فِى حَالَةِ بَحْثٍ لَم يَزَل .

وَيَقُولُ فِى قَصِيدَةٍ أُخْرَى :

بغير الماء يا ليلى ... ؛ تشيخ طُفُولةُ الإبريقْ

بغير خُطاك أنت معى ... ؛ يموت جمال ألف طريقْ

بغير سماك أجنحتى... ؛ يجِفُّ بريشها التحليق

ثُمَّ يَقُول :

أُفَضِّضُ فيك أحلامى... ؛ وأحياناً أُذهِّبُهَا

وتصدق وحدها الأحزانُ... ؛ لكنِّى أُكذِّبُهَا

فصف لى وصفةً أُخْرَى سوى موتى أُجَرِّبُهَا !!

فَتَأَمَّل قَوْلَهُ :

وتصدق وحدها الأحزانُ... ؛ لكنِّى أُكذِّبُهَا

تَصْدُقُ الأَحْزَانُ ؛ إِذ تُخْبِرُهُ الحَقَائِقُ أَنَّهُ مِنَ المُحَالِ أَن يَظْفَرَ بِمَن يُرِيدُهَا !!... ؛ وَبِهَذَا تَشْتَعِلُ الأَحْزَانُ فِى صَدْرِهِ لأَنَّهُ حُرِمَ أَمَلاً نَبِيلاً لا حَيَاةَ لإِنْسَانٍ بِدُونِهِ ... ؛ وَهُوَ لا يُرِيدُ أَن يُسَلِّمَ بِهَذِهِ الحَقِيقَةِ ؛ لأَنَّهَا عِنْدَهُ كَالمَوْت ... ؛ فَهُوَ يَقُولُ فِى حُزْنٍ بَالِغٍ :

فصف لى وصفةً أُخْرَى سوى موتى أُجَرِّبُهَا !!

إِنَّهُ يُقَدِّسُ الحُبَّ الشَّرِيفَ الطَّاهِرَ ؛ وَيَجْعَلُهُ فِى أَعْلَى مَرَاتِبِ المَقَامَات ... ؛ فَهُوَ يَقُولُ فِى بَعْضِ قَصَائِدِه :

أليس الحُبُّ أُقنومَ الحياةِ... ؛ ومبدأَ التكوينْ؟!!

لهُ شرفٌ إلهىٌّ... ؛ يَصوغُ... ؛ ويَكْسرُ القانُونْ

يشاءُ الحُبُّ حينَ يَشَاءُ... ؛ ثُمَّ يقُولُ : كُنْ فَيَكُونْ

هَذِهِ هِىَ نَظْرَتُهُ لِلحُب ؛ وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْرٍ ؛ فَقَد حَرَمَتْهُ الحَيَاةُ مِن مُمَارَسَةِ طُقُوسِهِ وَمُعَايَشَةِ حَالاتِهِ ... ؛ فَكَانَ هَذَا الأَمْرُ بِمَثَابَةِ ضَرْبَةٍ قَاصِمَةٍ أُخْرَى مِن ضَرَبَاتِ الأَيَّامِ الَّتِى لا تَرْحَمُ وَلا تُسَالِم !!

قُلْتُ سَلَفَاً : عَلَى أَنِّى أَقُول : إِنَّ قُوَّةَ هَذَا الشَّاعِرِ الحَقِيقِيَّةَ إِنَّمَا تَكْمُنُ فِى رُوحِهِ الَّتِى تَشْعُرُ بِالغُرْبَةِ الوُجُودِيَّةِ مِن جِهَةٍ ؛ ثُمَّ فِى ضَمِيرِهِ الإِنْسَانِىِّ الصَّحِيحِ الصَّادِقِ مِن جِهَةٍ أُخْرَى ... ؛ وَالمُرَادُ بِضَمِيرِهِ الإِنْسَانِىِّ هَا هُنَا : هُوَ شُعُورُهُ الثَّوْرِىُّ إِزَاءَ مَا يَرَاهُ مِن ظُلْمٍ وَطُغْيَانٍ وَاسْتِبْدَادٍ ؛ يُمَارِسُهُ وُلاةُ الأَمْرِ فِى كَآفَّةِ بِلادِ العَرَبِ ؛ وَيَا لَيْتَ حُكَّامَ هَذِهِ البِلادِ يَسُومُونَ أَوْطَانَهُم سُوءَ العَذَابِ وَلَكِنَّهُم مِن جِهَةٍ أُخْرَى يُرْهِبُونَ أَعْدَاءَ العُرُوبَةِ وَالإِسْلام ؛ بَل هُم أُسُودٌ عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِم ؛ وَلَكِنَّهُم كَالقُرُودِ أَمَامَ عُلُوجِ الرُّومِ وَالعَجَمِ !! ... ؛ يَقُولُ فِى قَصِيدَةٍ مِن قَصَائِدِه :

لى أُمَّـةٌ

فى زَمانِ الرُّومِ تَائِهةٌ
نَامَ المَمَاليكُ عَنهَا
وهىَ تُنْتَزَفُ
مُضَرَّجٌ بِأسَاهَا
وهىَ ذَاهلَةٌ
مَا مَسَّهَا الضُّرُّ
إلاَّ مَسَّنِى لَهَفُ
لا يَرجِفُ الرُّومُ
إلاَّ حَولَ خَيمَتِهَا
وبِاسْمِهَا
كانَ قَلبُ الرُّومِ... ؛ يَرتَجِفُ
ثُمَّ يَدْلُفُ إِلَى الحَدِيثِ عَن طَوَاغِيتِ بِلادِنَا ؛ فَيَقُول :
ذهبتُ ألقَفُ كَيدَ السِّحرِ
رَوَّعَنِى
حبْلُ الفَرَاعينِ
حتَّى كِدتُ أُلْتَقَفُ
الجاثِمُونَ علَى أَكبَادِنَا
قُرَحَاً
مِن عهدِ عَادٍ

إلى... ؛ أنْ تُنشرَ الصُّحُفُ
سُبْحانَ مَن حَـرَّرَ الإِنْسَانَ
يُخْجِلُنِى
أنَّا علَى هذِهِ الأصْنامِ
نَعتَكِفُ !!
لمْ يَنكَفِئ صَنَمٌ
إلاَّ طَغَى صَنَمٌ
حتَّى مَتَى يَا إلَهِى
هذِهِ الجِيَفُ ؟!!

وَهُوَ شَاعِرٌ لا يَعْرِفُ النِّفَاقَ وَلا المُدَاهَنَةَ وَلا التَّزَلُّفَ ؛ فَإِذَا مَا أَشَادَ بِمَحَاسِنِ قَوْمٍ ؛ فَإِنَّهُ لا يَخْشَى مِن المُجَاهَرَةِ بِشَرَفِ قَوْمِهِ وَعَظِيمِ مَكَانَتِهِم :

شَكرتُ أَكرَمَ أهلٍ
قد حللتُ بِهِم
وما كَفَرتُ بأهْلِى
هَكَذَا الشَّرَفُ
أَنَا ابنُ من رَابَطُوا فى الأرض
مذ خُلِقَت
حتَّى القيامةِ

لا ميلٌ ولاَ كُشُفُ
سبعٌ وسبعُون مليونَاً
على غَضَبٍ
كُفءٌ لأن تَقفَ الدُّنيَا
إذَا وَقَفُوا

وَفِى التَّنْدِيدِ بِالطُّغْيَانِ وَذَمِّ كُلِّ حَاكِمٍ بِأَمْرِهِ لا يَعْرِفُ سِوَى القَهْرِ وَالعَسْفِ كَانَت لَهُ كَلِمَاتٌ خَالِدَةٌ لا تُنْسَى:

أأخِرُّ بين يدى يزيدٍ راكعاً
ودمُ الحُسين يسيل تحت ردائى
أنا شاهد المأساة أكتب ما أرى
وأُؤرِّخُ الأيَّامَ بالشُّهداءِ
سأقُولُ لاءاتى وأبتُرُ رُكبتى
كى لا تَخِرَّ لركعة استجداءِ
وَيَقُولُ أَيْضَاً:

ما مرَّ طاغيةٌ
أمامَ حديقةٍ
إلاَّ ومات الوردُ فى الأكمامِ
لم يبتَسِم يوماً

أمامَ كِلابِهِ
إلا وسالت دمعةُ الأيتامِ
لم ينكفِىءْ يوماً
على مَحْظيَّةٍ
إلا ودبَّ العُقْمُ فى الأرحامِ
مأساتُنا عِشْقُ الطُّغاةِ
كأننا
لم نَنْسَ ـ بَعْدُ ـ عبادةَ الأصنامِ !!

نَمَاذِجٌ وَمُختَارَات

۞ ـ نُون

تـأتـى الـرِّوايـةُ ... ؛ ثم يأتـى الـرَّاويـةْ
فى البـدءِ كانَ الشِّـعْـرُ ... ؛ قَبْلَ القافيـةْ
فى البـدءِ تحـرسُ كُلَّ بيتٍ وردةٌ
والياسمينةُ لا تخونُ الـدَّاليـةْ
لـى فى البـلادِ مـن البـلادِ حبيبةٌ
تـرعى الحنينَ... ؛ ولا تنامُ الـرَّاعيـةْ
وتقُـولُ للنِّسيانِ : سِرْ مُتمهِّـلاً
مَرضيـةٌ... ؛ بالذِّكريـاتِ... ؛ وراضيـةْ
أنا فى إنـاءِ الـوردِ لا بُستانَ لـى
والـوردُ لَمْ يُخلَـق لِسُكْنَى الآنيـةْ
انْظُـرْ لصورتِنا القـديمـةِ مسَّنا
وجعُ السِّنينَ... ؛ ولا تـزالُ كما هِيـهْ
فى الصُّـورةِ ازْدَدْنَا شُحُـوبـاً مـرَّةً
وبكيتُ... ؛ فابتسمتْ... ؛ وعـادتْ صافيـةْ
ودمشـقُ تُشبهنى... ؛ تُلِحُّ كَقِطَّةٍ
قُلْ لِـى : أُحِبُّـكِ... ؛ يَـا دمشق الغاليـةْ

فى العشقِ ما يكفى لأوَّلِ قُبلةٍ
نَحيا بِهَا... ؛ ونموتُ... ؛ قَبْلَ الثانيةْ
أُمِّى!!... ؛ كَكُلِّ الأُمَّهاتِ تقولُ لِى :
قُبَلُ الدِّمشقيَّاتِ... ؛ نَهرُ العافيةْ
مَرَّ الشِّتاءُ و((باب توما)) ((ناطرٌ))
وأنا ـ أمام الحُبِّ ـ بنت ثمانيةْ
مَرَّ الشِّتاءُ... ؛ وأنتَ وحدك وحدنا
والليل يُمسِكُ... ؛ بالأيادى الخاويةْ
ليلُ العباءاتِ الطويلةِ باردٌ
بالحُبِّ دَثِّرنِى... ؛ فَرُوحِى عاريةْ
خُذْنِى إلى قَمَرِ الجبالِ وضُمَّنِى
حتَّى أسيرَ... ؛ على سحابِكَ حافيةْ
خُذْنِى إلى ((قاسيونَ)) قَبِّلنِى هُنا
خُذْنِى إلى ((بَرَدَى)) وَعُدْ بِىْ ظاميةْ
ليتَ الحنينَ إليكَ سِدرةُ مُلتقى
يا ليتَنا ... ؛ فى العاشقينَ... ؛ سواسيةْ
رَنَّاتُ هاتِفك الشجيَّةُ قهوتى
فى الليلِ... ؛ فَلْنَدَعِ الوسادةَ... ؛ غَافيةْ
العاشقونَ... ؛ هُمُ البلادُ... ؛ وأهلُها

والياِسُونُ... ؛ هُمُ الرَّمادُ... ؛ وهاويةْ
لا يخجلُ العُشَّاقُ من أشواقِهم
هل تخجلُ الأقمارُ... ؛ وَهْىَ عَلانِيةْ ؟!!
نَامى... ؛ سَتَفْضَحُنِى ارتباكةُ عاشقٍ
والشَّامُ تغمِزُنِى... ؛ وأُمُّكِ صاحيةْ
يا شالُها الصوفىُّ... ؛ كُلُّ ذُنُوبنا !!
مغفورةٌ... ؛ فى الأُمسياتِ الشَّاتيةْ
لم ألتفت لكِ فى الوداعِ مهابةً
عيناكِ قاسيةُ الجمالِ... ؛ وحانيةْ !!
تَتَبَسَّمِينَ لِذكرياتِكِ كلِّها
أصفى ابتساماتِ الأُنُوثةِ... ؛ باكيةْ
تأتى الرِّوايةُ... ؛ ثُمَّ يأتى الرَّاويةْ

۞ - فِى آخِـرِ السَّطْـر

فِي آخِرِ السَّطرِ
أم فى بَـدئِهِ... ؛ تَقِـفُ ؟
فى الحَـالتينِ وحيدٌ
أيُّهَا الألـفُ
أرسلتَ جِـذرَكَ
حيثُ الأرضُ مُعتِمَـةٌ
وامتـدَّ جذعُـكَ
حيثُ النَّجمُ يُقتَطَـفُ
يَـا سـاقىَ الغَيـمِ
يَـا عَـرَّابَ أنجُمِنَـا
ويَـا نَخيـلاً
يُصلِّـى حَـولَهُ السَّعَـفُ
أَعلَـى مِنَ الـزَّهْـوِ
لا كبـرٌ ولاَ بَـطَرٌ
والحُـبُّ
ليسَ بِغَيْـرِ الحُـبِّ يتَّصِفُ

عَامٌ كَبِرنَاهُ
شَابَتْ بَحَّتى شَجَنَاً
والشَّمسُ
يَصْعَدُ فى مِرْآتها كَلَفُ
وَكُلَّمَا قُلْتُ: يَكفِى
قَالَتِ امْرَأَتِى:
إنَّ الكَآبَةَ عَجزٌ
والأَسَى تَرَفُ
لولاَ الَّذى بَيْنَنَا
فِى الحُبِّ مِن رَحِمٍ
كُنتُ انصرُفْتُ
ومَا فِى الحُبِّ... ؛ مُنصَرَفُ
قُل للمَليحَةِ:
لاَ يَأسٌ ولا نَدَمٌ
وقُلْ لِمَن آسَفُونَا... ـ بَعدُ ـ
لاَ أَسَفُ
لَم أَقْتَرف دَمعَةً
إلاَّ الَّتى اجْتَرَحَت
صَفحَاً لِمَنْ جَرَحُونِى

فَوقَ مَا اقتَرَفُوا
صَدَّقْتُ قَلبِى
فَمَا مِن حَرْبَةٍ كَذِبَتْ
إلاَّ كَشَفتُ لهَا صَدْرِى
فَتَنْكَشِفُ
فإن تَبسَّمَ لِى حتفى
ابْتَسَمْتُ لَهُ
لُقْيَا الأحِبَّةِ بعد الوحشةِ
ائتلفوا
لِى أُمَّةٌ
فى زَمانِ الرُّومِ تَائِهَةٌ
نَامَ المَمَاليكُ عَنهَا
وهىَ تُنْتَزَفُ
مُضَرَّجٌ بِأسَاهَا
وهىَ ذَاهلَةٌ
مَا مَسَّهَا الضُّرُّ
إلاَّ مَسَّنِى لَهَفُ
لا يَرجِفُ الرُّومُ
إلاَّ حَولَ خَيمَتِهَا

وياسْمِهَا
كانَ قَلبُ الرُّومِ... ؛ يَرتَجِفُ
ذهبتُ ألقَفُ كَيدَ السِّحرِ
رَوَّعَنِى
حبْلُ الفَرَاعينِ
حتَّى كِدتُ أُلْتَقَفُ
الجاثِمُونَ علَى أَكبَادِنَا
قُرَحَاً
مِن عهدِ عَادٍ
إلى... ؛ أنْ تُنشَرَ الصُّحُفُ
سُبْحانَ مَن حَرَّرَ الإِنْسَانَ
يُخْجِلُنِى
أَنَّا علَى هذِهِ الأصْنامِ
نَعتَكِفُ !!
لمْ يَنكَفِئ صَنَمٌ
إلاَّ طَغَى صَنَمٌ
حتَّى مَتَى يَا إلَهِى
هذِهِ الجِيَفُ ؟!!
أُختَ العُروبَةِ

هَا قد جئتُ مُكتَهِلاً
والعُمرُ يَركُضُ
والأنفاسُ تُختَطَفُ
وهَا أنَا بَينَ أهلى
هُم دمِى ويَدِى
هُم ملحُ دَمعِى
هُم التَّحنانُ... ؛ والشَّغفُ
إن يختَلف خُبزُنَا اليَومِىُّ
لَهجَتُنَا
فِى القلبِ
فُصحى دماء ليسَ تَختَلفُ
مُذ كانتِ الأرضُ عَجماءً
وهُم عَرَبٌ
لمْ يُعرَفِ النَّاسُ
لولاَ أنَّهم عُرِفُوا
تصفَّحوا هذهِ الصَّحراءَ
فاكتَشَفُوا
أنَّ السَّماءَ علَى أكتافِهِم
تَقِفُ

المُوقِدُونَ
ونِعمَ الموقِدُونَ هُمُو
فى العُسرِ واليُسرِ
لاَ مَنٌّ... ؛ ولا صَلَفُ
لَو رَشفَةُ المـاءِ
بعضُ المَنِّ كَـدَّرَهَا
مَاتُوا عِطَاشى على الرَّمضَا
ومَا رَشَفُوا
خليفةٌ يَا ابْنَ خَيرِ النَّاسِ
زايدِنَا
كلُّ الرِّجَالِ حُروفٌ
وحدَكَ الأَلِفُ
أنتَ الإمَاراتُ سَبْعَاً
آىُ فَاتِحَةٍ
لزايدٍ
وهُو للجَنَّاتِ يَزدلِفُ
مُحَمَّدٌ يَا ابْنَ خَيرِ النَّاسِ
زايدِنَا
يا سابقَ الناسِ

بالسَّبْعِ التى أَصِفُ
الحِلمُ والنُّبلُ
والإيثَارُ عَن كَرَمٍ
والعزمُ والحزمُ
والإقْدامُ والأَنَفُ
شَكرتُ أَكرَمَ أهلٍ
قد حللتُ بِهِم
وما كَفَرتُ بأَهْلِى
هَكَذَا الشَّرَفُ
أَنَا ابنُ من رَابَطُوا فى الأرض
مذ خُلِقَت
حتَّى القيامةِ
لا ميلٌ ولاَ كُشُفُ
سبعٌ وسبعُون مليونَاً
على غَضَبٍ
كُفءٌ لأنْ تَقفَ الدُّنيَا
إذَا وَقَفُوا
حملتُ صَخرةَ أهرَامِى
علَى كَتِفِى

فهلْ تَضيقُ بأهلِى
هذه الكتفُ ؟!!
أكُلَّمَا ظَمِئَ السَّيَّابُ
قُلتُ لهُ
خُذنى لدِجلَةَ
مَا فى النِّيلِ مُرتَشَفُ
حُزنُ العراقِ
شُمُوعٌ مِلءُ أوردَتِى
تُضىءُ قبرَ علىٍّ
فابكِ يَا نَجَفُ
هَلاَّ نَصَرناهُ
يومَ الدَّارفاتِ دَماً
كى لا تَنوحَ عليهِ
الأعيُنُ الذُّرُفُ ؟!!
من حِجْرِ مكَّةَ حتَّى القُدسِ
ثَمَّ خُطىً
نَمشِى وتمشِى لهَا
فى صُلبِنَا النُّطفُ
غَنَّيتُ طَرحَةَ ثَكْلَى

كُلَّما وَلَهَت
تقولُ: يَا غُرفَ الجَنَّاتِ
لـى غُرَفُ
زغرودَةٌ للذين استشهدوا
شهِدت
أنِّى شرُفتُ بهم أهلاً
و بى شرُفُوا
قل للتى فَارقَتْنِى
وهىَ بَاكيَةٌ
لسْنَا حَديداً
ولاَ صَلصَالُنَا خَزفُ
كُنَّا أقلَّ جَمَالاً
أن نَكونَ معاً
يَومَ الوداعِ
و هذا الدَّمعُ يعتَرفُ
الموجَعُونَ بصوتِ البَحرِ
ما مَكثُوا
إلاَّ قليلاً... ؛ قليلاً
ريثَمَا انصَرفُوا

لِى سَحبةُ القوسِ فى شَجوِ الكَمانِ

ولِى

أَنَاقَةُ الحُزنِ

لى لحنِى الذى... ؛ عَزَفُوا

أنامُ مِلْءَ جُفونِى

عنْ شَوارِدِهَا

ويَسْهرُ الخَلقُ

جَرَّاهَا... ؛ وَيختَلِفُ

۞ ـ هَوِّن عَلَيْك !!

هَوِّن عليكَ... ؛ فلا هُناكَ... ؛ ولا هُنا
وجهاً لوجهٍ... ؛ قُل لموتكَ... ؛ ها أنا
ضعْ عنك عبئكَ... ؛ والقَ خصمك باسماً
فعلى جسارتهِ... ؛ يهابُ لقاءنا
إن لم يكُن فى العُمرِ إلاَّ ساعةٌ
عَلِّم حياتكَ... ؛ كيف نُكرِمُ موتنا
لا تنتظر خصماً أقلَّ شجاعةً
وارفع جبينكَ... ؛ مثلما عودتنا
تتبرَّجُ الدُّنيا... ؛ ونكسر كِبرَها
ونقولُ : يا حمقاءُ !!... ؛ غُرِّى غيرنا !!
لا نستجيرُ منَ الجراحِ ؛ وإنما
من فَرْطِ نخوتنا... ؛ نُجيرُ جراحنا
لم يرتفع جبلٌ أمام عيوننا
إلا لنرفع فوقه أكتافنا !!
إنَّا وقد نَهَبُ الظَّلامَ نجُومَنا
نهدى الصَّباحَ لِمن سيأتى بعدنا
فى زفرةِ الفرسِ الأخيرةِ قبلما

يأتى اعتذارُ الموتِ !!... ؛ عن موت المُنَى
سنقُولُ للرَّحْمَنِ جَلَّ جَلالُهُ
فلتُعطنا موتاً يليق بمثلنا

يا طائر الغربات عُشُّكَ مُوحِشٌ
فاهدأ... ؛ لعلك يا غريبُ... ؛ لعلَّنا

سيقُولُ طِفْلٌ ما لدمعةِ أُمِّهِ:
ساعى البريد غداً... ؛ سيطرُقُ بابنا
سأنام كى يأتى الصَّباحُ مُبكِّراً
وسنشترى لُعَبَاً... ؛ ونخبُزُ كعكنا
- نمْ يا ضنايا !!
الطِّفْلُ أصبح شاعراً ؛
وأبَاً... ؛ وظلَّ الحُلمُ غضَّاً ليِّنَاً !!
عشرون عاماً... ؛ فى انتظار المُلتقى
ثُمَّ التقينا... ؛ كى نُتِمَّ وداعنا !!
هَوِّن عليكَ... ؛ وأعطِ موتكَ فُرصةً
واشكُرهُ أن وهب اغترابكَ... ؛ موطنا
يا نائياً عنِّى بمترٍ واحدٍ
الآنَ !!... ؛ وسَّعْتَ المسافة بيننا !!

نلتفُّ حولك... ؛ نحنُ حولك يا أبى
فابسُط عباءاتِ الحنان وضُمَّنَا
قُلْ مرحباً !!... ؛ قُلْ أىَّ شىءٍ طيِّبٍ !!
لا تترك الكابُوسَ يُفسِدُ حُلمنا !!
كُنَّا نرى الآباءَ حول صغارهم
نشتاقُ أن تأتى... ؛ وأن تحكى لنا !!
﴿ يا ما انتظرتكَ !! ﴾... ؛ وانتظرتك يا أبى !!
الآنَ بادلنى الحديثَ مُكفِّنَا !!
زُرنا !!... ؛ ولو فى كُلِّ عَامٍ مرَّةً
واجلس قليلاً !!... ؛ كى تُدبِّرَ حالنا !!
جئْ ضاحكاً !!... ؛ أو ساخراً !!... ؛ أو غاضباً !!
دَلِّلْ طُفُولتنا... ؛ وعاتِب طيشنا !!
سَمَرٌ شتائىٌّ... ؛ وشاىٌ ساخنٌ
وسُعالك الحنَّان يُؤنسُ بيتنا !!
أخشى من النِّسيانِ !!... ؛ قد يأتى غدٌ
وتصيرُ وحدَك فى الغيابِ !!... ؛
ووحدنا !!
إنَّا قصائدُك الجميلةُ يا أبى
الله أبدعنا... ؛ وأنتَ رويتنا !!

نثرٌ هىَ الأيَّامُ
نثرٌ باهتٌ !!
وتصيرُ شعراً كُلَّما اتقدت بنا !!
يبقى معى منكَ
الحياةُ قصيدةً
والموتُ شعراً
والخُلُودُ مُؤذِّنَا
أتأمَّلُ ﴿ الحَدَّادَ ﴾ فى ستِّينهِ :
قمراً جنوبيَّاً يُرنِّقُ حولنا !!
ويقُول : يا ولدى تعبتُ !!
فخُذ يدى
ثَقُلَ الحديدُ علىَّ !!
والظهرُ انحنى !!
أنصت لصوتى فيكَ
صدقاً جارحاً
فالموتُ يعجز أن يُبدِّلَ صوتنا
لا تحمل اسمىَ فوق صدرك صخرةً
أسماؤنا وطنٌ
يُعمِّرهُ السَّنَا

كُن ما أُحبُّك
كم أُحبُّك فارساً
لا ينحنى فقراً
ولا يطغى غِنَى !!
لا يُشبه الشُّعراءَ... ؛ يُشبه شِعرَهُ
إن البناء الفَذَّ... ؛ يُشبهُ من بَنَى
لا دمع يبقى ... ؛ لا دمع يبقى
كُلُّ دمعٍ... ؛ زائلٌ... ؛
إلاَّ الذى بالحُبِّ يغسلُ صدرنا
دَمْعُ المناحةِ ـ دائماً ـ مُتأخِّرٌ
فى نُطفةِ الميلادِ نحملُ حَتْفَنَا
هَوِّن عليك !!

۞ ـ العَـارِف

[١]

هُناك ـ ولا هُناكَ هُناك ـ ... ؛ كانت تُقْطَفُ الأضواءْ
ولم تكُنِ الطبيعةُ قد تراءت ـ بَعْدُ ـ فى الأسماءْ
مَشَى حُزنٌ إلى حُزنٍ... ؛ وماءٌ... ؛ فى اتجاهِ الماءْ

[٢]

أكانَ عَلَىَّ أن أسعَى إلى شجرٍ مِن النِّسيانْ ؟!!
إلى عُرْيٍ وعِصيانٍ... ؛ جَليلٍ يُبْدعُ العِرْفانْ ؟!!
ليَبْتدِئ الحِوارُ الفذُّ... ؛ بينَ اللهِ والإنسانْ !!

[٣]

أجل !!... ؛ لابُدَّ منْ حَواءَ... ؛ كى تنسَى... ؛ ومن آدمْ
ومن « غارٍ » !!.. ؛ نُربِّى فيهِ شَوقَ العاشقِ الخَاتمْ !!
ومن سرٍّ يُسمَّى الحُبُّ نُنْجِبُ بِاسْمِهِ العَالمْ

[٤]

أنا الكينونةُ الأُولَى... ؛ أنا بدءٌ وعُنوانُ
أنا شوقٌ ونسيانٌ ... ؛ ومعصيةٌ وغُفرانُ
أنا فَجْرُ التجلِّياتِ مِنى كُلُّ مَن كانُوا

[٥]

أنا الخوفُ الذى يَسعى... ؛ ويَسْعَى نَحْوَهُ الأملُ
حملتُ أمانةَ الحُبِّ الكبيرِ... ؛ وأَشْفَقَ الجَبَلُ
أنا أبديَّةٌ عَشِقَت ... ؛ فلحظةُ عِشْقِهَا أزلُ

[٦]

وقفتُ على حُدودِ الحُزنِ والآزالُ مِن خَلْفِى
وقُلتُ وَلَمْ أزل فى البدءِ إنَّ ذَخيرتى ضَعْفِى
إذا لَمْ تَكْفِنى الأعمارُ... ؛آهةُ عاشقٍ تَكْفِى !!

[٧]

هُنا دَكَّ السَّنَا جَبَلى... ؛ وسُمِّيتُ الكَليمَ هُناكْ
وقيل : اذهَبْ ؛ فقُلتُ : أرَى ؛ فقيلَ : كفاكَ ؛ قِيلَ كفاكْ
إذا أَلْقَوا لكَ الأسْحَارَ « يا مُوسَى » فألقِ عَصَاكْ

[٨]

وقفتُ بِشاطِىء العِرفانِ حينَ وهَبتنى سَبْحَةْ
فكانت آيتى فى الحُبِّ رَحْمَانِيَّةَ النَّفْحةْ
هُناكَ أَحَطتُ بالأكوان والأزمانِ فى لَمحَةْ

[٩]

أُسافرُ فى الدُّهورِ إليكِ مُتَّكِئاً عَلَى وَجْدِى

وأرواحُ الأُلَى عَشِقُوا الجمالَ تَموجُ فِى بُرْدِى
كأنَّ الخلقَ أجمعَهم ؛ معى... ؛ لكنَّنى وَحْدِى

[١٠]

وها أنا ذا بتاجِ الشَّوكِ ؛ أدخلُ هَيْكَلَ الأحزانْ
وقد نَصَبُوا لِمعجِزَتى ؛ صليبَ الخوفِ والنِّسيانْ
وباسْمِ الحُبِّ - يا ليلى - تكُونُ قَيامةُ الإنسانْ

[١١]

لقد ناديتُ ؛ حين وهنْتُ ؛ واشتعلَ الصِّبا شَيْبَا
وكان الرِّزقُ فى المحرابِ ؛ رمزاً يكْشفُ الغيْبَا
وكانت عاقراً دُنياىَ رَبِّ هَبْ لنا حُبَّا

[١٢]

صداقتُنا مع الدُّنيا ؛ صداقةُ شمعةٍ للرِّيحْ
ورحلتُنا مع الأيَّامِ... ؛ رحلةُ شاهدٍ لضريحْ
و « جُلجُلتى » على كتفى... ؛ كلانا ذابحٌ وذبيحْ

[١٣]

أنا لكِ ؛ منْكِ ؛ فيكِ ؛ إليكِ... ؛ من أزلٍ إلى أبدِ
ومن رُوحٍ إلى جَسدٍ... ؛ إلى رُوحٍ بلا جسدِ
ومن أحدٍ إلى كُلٍّ... ؛ ومن كُلٍّ إلى أحدِ

[١٤]

أمَا أوقفتنى فى الرَّمزِ... ؛ ثُمَّ حَرِمْتِنِى التفسيرْ ؟!!
وقُلتِ: النُّورُ ليس لهُ مِنَ الأسماءِ إلاَّ النُّورْ؟!!
قُطُوفُ الحُبِّ دانيةٌ... ؛ ولكنَّ القُبُورَ قُبُورْ !!

[١٥]

طلبتُ السِّرَّ للدُّنيا... ؛ فألهانى عنِ الدُّنيا !!
وحين أجاءنى للغَارِ... ؛ قالَ: عزاؤكَ الرُّؤيا
فقُلتُ: أنا الفتى الأُمِّىُّ... ؛ قالَ: تَحَمَّلِ الوَحْيَا

[١٦]

هُناكَ سُئِلتُ مَن تَهْوَى ؟ ... ؛ أجبتُ: حقيقةَ الأسماءْ
صدقتَ ؛ فماَ حقِيْقَتُها ؟ ... ؛ فقُلتُ: ضياءُ كُلُّ ضياءْ
صَدَقْتَ... ؛ فما تشاءُ الآنَ... ؛ قُلتُ الآن لستُ أَشاءْ

[١٧]

هُناك وقَفْتِ بِى فى الشَّوقِ... ؛ عِنْدَ نهايةِ الشَّوقِ
وعِنْدَ نهايةِ الأبعادِ... ؛ لا تحتى... ؛ ولا فَوْقى
هُناكَ بَلغْتُ فى حُبِّيكِ... ؛ سِدرةَ مُنتهَى عِشْقِى

[١٨]

فإِن نُوديتُ كيفَ بدأتَ ؟ ... ؛ قُلْتُ: خَلَعْتُ أوحالى

وكيفَ عرفتَ سِرَّ القُرْبِ ؟ ... ؛ قُلتُ : الحُبُّ أوحَى لى
فَلَمْ يَبْلُغ بَنو الدُّنيا مَقامِى فِيكِ أو حالى

[١٩]

فَحَسْبِى أن يضيقَ الوصفُ... ؛ عَمَّا أرتجِى... ؛ وَصْفَا
وأن أَجْلُو غوامضَهُ سُدىً... ؛ فيشِفَّ... ؛ كى يَخْفَى
لكى يبقَى على الآبادِ كَشْفاً... ؛ يَطْلُبُ الكَشْفَا

[٢٠]

أليس الحُبُّ أُقنومَ الحياةِ... ؛ ومبدأَ التكوينْ؟!!!
لهُ شرفٌ إلهىٌّ... ؛ يَصوغُ... ؛ ويَكْسرُ القانُونْ
يشاءُ الحُبُّ حينَ يَشَاءُ... ؛ ثُمَّ يقُولُ : كُنْ فَيَكُونْ

[٢١]

قديماً قِيلَ تربيةُ الأفاعى تحت سقف القلبْ
وقيلَ : النَّاسُ منفى النَّاسِ... ؛ والدُّنيا غنيمةُ حربْ
أتى ولدٌ إلى الدُّنيا... ؛ تظلِّلُهُ غمامةُ حُبْ

[٢٢]

تهجَّا كِلْمةَ الدُّنيا... ؛ بِمُعتمها... ؛ بِمُشْرِقَها
بِمُبهجها... ؛ بِمُحْزِنها... ؛ بِمُلهمها... ؛ بِمُقْلِقَها
فلا تتكوَّنُ السَّاعاتُ... ؛ إلاَّ من دقائِقها

[٢٣]

أنا هُوَ ذلكَ الولدُ المُصابُ بكبرياءِ الرِّيحْ
كثيراً ما يُرى خَشِنَاً... ؛ ومُمتلئاً أسىً وَجُمُوحْ
فإن أبحرت داخِلَهُ... ؛ تَكَشَّفَ عن حنانِ مسيحْ

[٢٤]

أكادُ أضيءُ... ؛ يقتُلنى... ؛ ويُحيينى بكِ العِرْفَانْ
يُصافحنى الذى سيكونُ... ؛ ما هو كائنٌ... ؛ وما كانْ
سَكِرْتُ بما... ؛ سَكِرْتُ وما... ؛ سَكِرْتُ فقبِّلينى الآنْ

[٢٥]

قرأتُ فضاءَ أيَّامى... ؛ كما قرأ السَّما عُصْفُورْ
كلانا... ؛ يجتلى قمر الحقيقةِ من وراءِ السُّورْ
نخافُ الليلَ أحياناً... ؛ وأحياناً نخافُ النُّورْ

[٢٦]

رأيتُ الكائنات هُناكَ تكتبُ شِعْرهَا العالى
وترفعُ وجهها للهِ فى صمتٍ وإجلالِ
وكُنتُ على ضِفافِ النَّاى أشربُ دمعَ موَّالى

[٢٧]

تقُول شُجيرةٌ للرِّيح :

جرِّب مهنةَ الأشجارْ
أنا آثرتُ أن أرضَى... ؛ وأنت اخترت أن تختارْ
إذا أوغلتَ فى الأعماقِ... ؛ تعرفُ لذَّةَ الإثمارْ

[٢٨]

يقُولُ الرِّيحُ للأشجارِ:
ذُوقى لذَّةَ الإبحارْ
رأيتُ ابنَ التُّرابِ يُقيمُ حَوْلَ ثمارِكِ الأسوارْ
ضربتُ شِراعَهُ... ؛ فمضَى ؛ وجرَّبَ ؛ واصطفَى ؛ وأنارْ

[٢٩]

وتهمسُ وردةٌ للشَّوكِ
ما أقسَاكَ !!... ؛ ما أقساك !!
أُقايلُ زائرى بالعِطْرِ ... ؛ تجرحُ أنتَ مَن يلقاكْ !!
لماذا يُصبِحُ الوخز الأليمُ هِوايةَ الأشواكْ ؟!!

[٣٠]

يقُولُ الشَّوكُ
يا أُختاهُ لم تتفهَّمى لُغْزِى !!
فليست حِرفةُ الآلامِ شرًّا... ؛ فاشْكُرِى وخْزِى
فبالقُبحِ الجميلِ حرستُ... ؛ عجزَ الحُسْنِ... ؛ لا عَجْزِى

[٣١]

رأيتُ الشَّمعةَ الخرساءَ ترفعُ قلبَها المشبُوبْ
وتهمسُ فى سبيلِ النُّورِ هذا القلبُ حين يذوبْ
فأنت اخترتَ لِى يا حُبُّ... ؛ أن أُهْدِى السَّنا... ؛ وأغيبْ

[٣٢]

رأيتُ زواجَ عُصفُورِ الصَّباحِ... ؛ بطلقةِ الصَّيَّادْ !!
ونأياً صادقاً كالموتِ... ؛ يعزفُ كِذبةَ الميلادْ !!
وحقلاً بامتدادِ العُمْرِ... ؛ يشكُرُ مِنْجِلَ الحصَّادْ

[٣٣]

رأيتُ الصَّمْتَ والنِّسيانَ... ؛ يجتهدانِ دُونَ ضجيجْ
وأبواباً بلا معنى... ؛ دُخُولٌ مرَّةً وخُرُوجْ
فقلتُ :
أُخلِّدُ البُستانَ يا ليلى ببعضِ أريجْ

[٣٤]

وقُلتُ :
أُعلِّمُ الفخَّار شيئاً من ذكاءِ الماءْ
وأُوقِظُ غفلةَ الأشياءِ... ؛ كى تتكلَّمَ الأشياءْ
لَعَلَّ زُجاجةَ المصباحِ... ؛ تحفظ حكمةَ الأضواءْ

[٣٥]

ذهبتُ لِرَفِّ مكتبتى... ؛ تهاوت كُلُّ أصنامى
كَبِرْتُ بداخلى... ؛ كَبِرَتْ على كتفىَّ أحلامى
فهل صارَ الزِّحامُ
أنا ... ؛ أم الأوراق أيَّامى ؟!!

[٣٦]

دخلتُ مقاهياً ؛ ومنافياً ؛ وخنادقاً ؛ وسُجُونْ
وجاء لغُرفتى قَتْلَى... ؛ وعُشَّاقٌ... ؛ وصُوفيُّونْ
وثُوَّارٌ ؛ وأزلامٌ... ؛ وأبطالٌ... ؛ ومهزُومُونْ

[٣٧]

وجاءَ الشِّعْرُ... ؛ كالضيفِ الغريب يدقُّ فى استحياءْ
فتحتُ لهُ... ؛ فأطفأ شمعتى... ؛ وأضاءنى... ؛ وأضاءْ
ومُنذُ لبستُ خِرْقَتَهُ... ؛ عرفتُ الرَّقصَ فوق الماءْ

[٣٨]

وفيه عرفت أنَّ
يكونَ... ؛ تعنى أنه قد كانْ
وأنَّ الآنَ لا معنى لها فى لُعبةِ الأزمانْ
وأنِّى فى غدٍ سأكونُ شخصاً... ؛ لا أراه الآنْ

[٣٩]

إذا قبضت يدى الأمواجَ... ؛ تكسر كبرياءَ الماءْ
إذا عبرت خُطاىَ الرَّملَ... ؛ تهتكُ عِفَّةَ الصَّحراءْ
هل العِرفانُ قتلٌ ما... ؛ نُمارسه بغير دماءْ؟!!

[٤٠]

جرعتُ الكأسَ يا أختاهُ... ؛ ثَمَّ خُطىً... ؛ وثَمَّ صِراطْ
ويا أُختاهُ يحتاطُ الظَّلامُ... ؛ النُّورُ لا يحتاطْ
بهذى الكأسِ يعرفُهُم... ؛ ويعرِفُ نَفْسَهُ سُقْرَاطْ

۞ - رَكْعَةُ الشَّاهِد

وحدى ومن ألفى أسيرُ ليائى
تتوحَّشُ الغُرُباتُ تحت ردائى
أمشى لكى أمشى وتلك إجابتى
عن فوضويَّةِ هذه الأعضاءِ
لى أن أُفتِّشَ فى رصيفٍ غامضٍ
عن سيرةٍ ذاتيَّةٍ لحذائى
خطئى حنين خُطىً لآثار الخُطى
ودمٌ يقُولُ تقدَّست أخطائى
لى أن تُسمِّينى الجِرَاحُ نَبِيَّهَا
لى أن أقُولَ تباركت آلائى
سُبْحَانَ مَن جعل الشَّهادة مهنتى
والجُرْحَ والسِّكِّين من أسمائى
بينى وبين الله صرخةُ جائعٍ
من صيف دمعته ربيع غنائى
فى البدء قالَ: اقرأ... ؛ قرأتُ فصاح بى
لقد اصطفاك الحُزنُ للإسراءِ

قُلْتُ الرُّؤى اشتبهت... ؛ أشارَ تبعتهُ
قُلْتُ : استخر لى... ؛ قالَ : صَلِّ ورائى
فبكت عُيُونى قالَ : دمعةُ مُؤمنٍ
ما بالها وثنيَّةُ الأزياءِ ؟!!
طُوبى لمن نحروا القُلُوبَ وضيَّفُوا
جبريل فوق موائدِ الفُقراءِ !!
مطرٌ يخُطُّ على قميصى آيةً
ويقُول موعدنا بغار حراءِ
هذا بَرِيدُ الله كُلُّ سحابةٍ
شهدت على صدرى صلاة الماءِ
لَّما وصلتُ إلى سماءِ كلامها
رُفِعَ الحجابُ أنا الرُّؤى والرَّائى
أأتوبُ عن هذا العذاب ولم تَتُب
عن حُبِّها الباكى سماء شتائى ؟!!
أأخِرُّ بين يدى يزيدٍ راكعاً
ودمُ الحُسين يسيل تحت ردائى
أنا شاهد المأساة أكتب ما أرى
وأُؤرِّخُ الأيَّامَ بالشُّهداءِ

سأقُولُ لاءاتى وأبتُرُ رُكبتى
كى لا تخِرَّ لركعة استجداءِ
هى ركعةٌ فى العشق لستُ أُتمُّها
إلاَّ على سِجَّادةِ الشُّعراء

۞ ـ قُل لِلمَلِيحَة

بَيْضَاءُ يَا وَجَعَ الْخِمَارِ الأَسْوَدِ !!
سَمَّرتِ أَقْدَامِى بِبَابِ الْمَسْجِدِ !!
كَم فِتْنَةٍ فِى الأَرْضِ ؟ ؛ كَيْفَ تَنَزَّلَتْ
حُورُ الْجِنَانِ لِنَاسِكٍ مُتَعَبِّدِ ؟!!
لِى مَوْعِدٌ فِى اللهِ كِدْتُ أُضيعُهُ
لِيُقَدَّ مِن قُبُلٍ قَمِيصُ الْمُهْتَدِى !!
مَاسَتْ خُطَاكِ فَمَسَّنِى مَا مَسَّنِى !!
لَوْلاَ تُقَاىَ لَقُلْتُ : جِئْتِ لِتُعْبَدِى !!
سَكِرَ الْهَوَا حَوْلِى وَأَسْكَرَنِى الْهَوَى
فَوَقَفْتُ لاَ قَدَمِى عَرِفْتُ وَلاَ يَدِى !!
جُرِّى الْعَبَاءَةَ فَالْقُلُوبُ أَسَاوِرٌ
وَعُيُونُنَا فِى الْجِيدِ عِقْدُ زُمُرُّدِ !!
وَالنَّاسُ إِمَّا مُلْهَمٌ أَوْ حَاسِدٌ
وَلَقَدْ خُلِقْتِ لِتُلْهِمِى وَلِتُحْسَدِى !!
رِفْقَاً بِأَهْلِ الأَرْض رِفْقَاً بِالسَّمَا !!
بِتَنَهُّدِ النَّجْمَاتِ ... ؛ إِنْ تَتَنَهَّدِى !!

رِفْقَاً بِنَفْسِكِ !!... ؛ بِالْجَمَالِ مُتَوَّجَاً !!
بِأُنُوثَةٍ فِيهَا نَضِلُّ وَنَهْتَدِى !!
مُسْتَعْصِمٌ قَلْبِى بِحُبِّ مُحَمَّدٍ
لاَ تَفْتِنِيهِ ... ؛ بِحَقِّ رَبِّ مُحَمَّدِ !!

۞ - لَيْلَى ... ؛ شَهْدُ العُزْلَة

[١]

بغير الماء يا ليلى ... ؛ تشيخ طُفُولةُ الإبريقْ
بغير خُطاك أنت معى ... ؛ يموت جمال ألف طريقْ
بغير سماك أجنحتى... ؛ يجِفُّ بريشها التحليق

[٢]

أُحبُّكِ لم يَغِب منِّى... ؛ سوى وجه الفتى العابرْ
سيكمل كبرياء الشِّعْرِ... ؛ ما لم يُكمل الشَّاعرْ
لأنَّ السِّرَّ فى الطيرانِ... ؛ لا فى الرِّيش والطائرْ

[٣]

أُحبُّك فليُسمُّوا الحُبَّ وهماً كذبه إغراءْ
أفى مقدور هذا الماء... ؛ إلاَّ أنَّ يكون الماءْ ؟!!
إذا امتلأ الزَّمانُ بنا... ؛ تلاشت فتنة الأسماءْ

[٤]

أُحبُّكِ نجمة السُّلوانِ حين لمحتها غارتْ
ولستُ أُعاتبُ السِّكِّين فى ضلعى التى اختارتْ
فلا أحدٌ يَرُدُّ الخطو... ؛ للقدمِ التى سارتْ

[٥]

لماذا لـم نجد فى الحُبِّ ما يكفى من الغُفرانْ ؟!!
لماذا لـم نجد فى الحُزنِ ما يكفى من السُّلوانْ ؟!!
لماذا ليس فى الإنسانِ ما يكفى... ؛ من الإنسانْ ؟!!

[٦]

متى ألقاكِ يا ليلاىَ إن دمى يخُاصمُنى؟!!
ورُوحى لا تسير معى... ؛ وقلبى لا يُكلِّمُنى ؟!!
وصوتى ليس يُؤنسنى... ؛ وصمتى ليس يُلهمنى ؟!!

[٧]

أنا فى البيت والجُدرانُ من غير الأحِبَّةِ سِجْن
يشيخُ البابُ والدَّرَجُ اليتيمُ بلا خُطاك يَئِن
أحتَّى هذه الأخشابُ... ؛ تُغرم مثلنا وتَحِن ؟!!

[٨]

أريكتُنا التى سَكِرَت بضحكتنا معاً تبكى !!
ولا تغفو معى إلاَّ إذا حدَّثتها عنكِ !!
فتحضننى لعلَّ على قميصى... ؛ شعرةٌ منكِ

[٩]

أُفَضِّضُ فيك أحلامى... ؛ وأحياناً أُذهِّبُهَا
وتصدق وحدها الأحزانُ... ؛ لكنِّى أُكذِّبُهَا

فصف لى وصفةً أُخْرَى سوى موتى أُجَرِّبُهَا !!

[١٠]

لها ما ليس لى منِّى ... ؛ لها الغربات والبيتُ
لها ما مَرَّ ما سيجئُ ما يبقى إذا غِبْتُ
لها قولى أمام الموتِ : لا ندمٌ !!... ؛ لقد عِشتُ

[١١]

سيُولَدُ مَرَّةً أُخْرى ... ؛ بفجرٍ أزرقٍ آدمْ
يرى حواءهُ الأُولى ... ؛ ويحضنُ حُبَّهُ الخاتمْ
ويغتفران باسم الحُبِّ ... ؛ كُلَّ إساءةِ العالمْ

۞ ـ مُخْتَارَات

ما مرَّ طاغيةٌ
أمامَ حديقةٍ
إلاَّ ومات الوردُ فى الأكمامِ
لم يبتَسِمْ يوماً
أمامَ كِلابِهِ
إلا وسالت دمعةُ الأيتامِ
لم ينكفِىءْ يوماً
على مَحْظيَّةٍ
إلا ودبَّ العُقْمُ فى الأرحامِ
مأساتُنا عِشْقُ الطغاةِ
كأننا
لم نَنْسَ ـ بَعْدُ ـ عبادةَ الأصنامِ

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

لا تقتلونا بالمراثىَ
لا تحُبُّونا
خُطَب

لا تُفصِحوا
بلسانِ « حمزةَ »
عن ضميرِ « أبى لهبْ »
لا تزرعوا فى خُضرةِ الزَّيتُونِ
ذاكرةَ الحطبْ
لا يُرْدِعُ الحطَّابَ إلا
ما تيسَّرَ
مِن غضبْ

قلبى على سفرٍ
وأنتِ مثيرةٌ
كشذا قَرنفُلةٍ يمرُّ
عَلَى رِئةْ
جئنا
مِنَ الزَّمنِ العدوِّ
كما أتتْ
مِنْ ظُلْمَةِ الأصدافِ
أروَعُ لُؤلؤةْ

لم ينتصرْ رَجُلٌ
لدمعةِ شَعْبِهِ
ما لم تُباركْهُ
بدمعتِها
امرأةْ

يتساءلونَ مَن التى أحببتُها ؟!!
ماذا أُريدُ ؟!!
أُريدُ نِصْفَ نبيَّةْ
تقسو قُلُوبُ النَّاسِ
وهْىَ غفورةٌ
وتخونُنى الأيَّامُ
وهْىَ وفِيَّةْ
وتكونُ واضحةً كشمسِ
بلادِنا
وعميقةً
كقصيدةٍ صُوفِيَّة

ووقورةً
كصلاةِ قلبٍ خاشعٍ
وطَروبةً
كالنسمةِ البحريَّةْ
وتكونُ ناعمةً
كصُبْحٍ مُطْرٍ
وقويَّةً
كالمُهرةِ البدويَّةْ
فيها من النِّيلِ العظيمِ
تواضعٌ
وبها شُمُوخُ مَسلَّةٍ مصريَّةْ
عربيَّةً
فى ضحكِها
ودموعِها
وأنا شهيدُ دموعِها
العربيَّةْ

مِنْ مَهْدِ هٰذا الحُزنِ

حتَّى لحَدَهُ
لى رايتانِ: الحُبُّ والحريَّةْ

أأسقى الوردَ
فى شُرفاتِ بيتى
ونابُ الذِّئبِ
فى لحم العُرُوبةْ ؟!!

لماذا تشتهى موتاً
سريعاً ؟!!
لأنَّ عدالةَ الوالى
بطيئةْ
سأُلْصِقُ بالجدارِ الصعبِ
رُوْحِى
وأُلقى جَمْرَ أسئلتى البريئةْ
سيُوجِعُكُم
ويُوجِعُنى سُؤالى:

« هل الفُقراءُ
قافيةٌ رديئةْ ؟!! »

هل كُلُّ هذا الحُزنِ
لا يكفى
ليجعلَنِى جميلا ؟!!

بمدائحِ الوطنِ المحنَّطِ
فى النُّصوصِ المدرسيَّةْ
بالجَهْلِ
أصبحَ عبقريًّاً
فى اغتيالِ العبقريَّةْ
بالحُبِّ يُوْلَدُ ميِّتاً
فى الأُغنياتِ العاطفيَّةْ
لتصيرَ سِكِّينُ الجُناةِ
أحبَّ

مِنْ لَحْمِ الضَّحيَّةْ

فَلْيغضبُوا
فأنا أُدافعُ عن ملايينِ السَّنابلْ
ولْيَعْلمُوا
أنَّ الإرادةَ لا تُكَبِّلُها السلاسلْ
أنَّ البلابلَ تحت نَيْرِ القهرِ
ما عادت بلابلْ
أنَّ اشتعالَ النَّارِ
فى الأشجارِ
يجعلها تُقاتلْ

القُدسُ ليستْ مأتماً
شُكراً لمُحترفى العَزاءْ
لكنها ألقُ النُّبوَّةِ
فى جبينِ الأنبياءْ
صلواتُ مئذنةٍ

تُقَبِّل باسْمِنا
خدَّ السَّماءْ
القُدسُ
بنتُ الحُبِّ
أُختُ الحُزنِ
أمُّ الكبرياءْ

سيجيءُ مِن لبنِ الرضاعةِ
أنبياءُ الجُلْجُلاتْ
مِن شَبيةِ الزَّيتُونِ
أو مِن نُونِ
مدرسةِ البناتْ
كم لثغةٍ عزلاءَ
تنهضُ ضدَّ صفِّ مُدرَّعاتْ ؟!!
كم برلمانٍ
سوف يُسْقِطُهُ
« عَدِيْدُ » الأُمَّهاتْ ؟!!

جرسُ الكنيسةِ صامتٌ
ومُؤذِّنُ الأمواتِ
أبكمْ

إِطْـلالَةٌ خَـاطِفَـةٌ
عَلَى مَـا مَـرَّ مِـن قَصَـائِـد (١)

(١) ـ وَكُنْتُ قَد كَتَبْتُ هَذِهِ الإِطْلالَةَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِى المَبْحَثِ الثَّانِى .

ـ (١):

۞ ـ هَـوِّن عَلَـيْـك !!

رِثَائِيَّةٌ بَلَغَت ذُرْوَةَ الشَّاعِرِيَّةِ مِن حَيْثُ الأَدَاءِ وَالصُّورِ !!... ؛ لَو سَمِعَهَا الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور ـ رَحِمَهُ الله ـ ؛ لَعَدَّهَا مِن آيَاتِ الشِّعْرِ المَهْمُوس ؛ يَكْمُنُ جَمَالُهَا الحَقِيقِىُّ فِى كَوْنِهَا بَلَغَت الغَايَةَ فِى تَجْسِيدِ الحَالَةِ الانْفِعَالِيَّةِ لِلشَّاعِرِ وَهُوَ يَذْكُرُ أَبَاهُ الَّذِى مَا كَادَ يَرَاهُ مِن بَعْدِ سَنَوَاتِ الغِيَابِ الطَّوِيلَةِ فِى دِيَارِ الغُرْبَةِ مِن أَجْلِ صَوْنِ أَبْنَاءِهِ عَن عَوَادِى الزَّمَنِ الَّذِى لا يَرْحَم ؛ مَا كَادَ يَرَاهُ إِلاَّ وَهَجَم المَوْتُ عَلَى سَاحَتِهِ وَاخْتَطَفَهُ بِلا شَفَقَةٍ وَلا رَحْمَةٍ !!... ؛ مَا كَادَ يَلْتَقِى بِهِم إِلاَّ وَأُجْبِرَ عَلَى وَدَاعِهِم !!

عشرون عاماً... ؛ فى انتظار المُلتقى

ثُمَّ التقينا... ؛ كى نُتِمَّ وداعنا !!

وَيَبْلُغُ الحُزْنُ مَبْلَغَهُ مِنَ الشَّاعِرِ عِنْدَ قَوْلِهِ :

يا نائياً عنِّى بمترٍ واحدٍ

الآنَ !!... ؛ وسَّعْتَ المسافة بيننا !!

ثُمَّ تَهْجُمُ حَالَةٌ مِن الحَسْرَةِ الرَّهِيبَةِ المَقْرُونَةِ بِعَدَمِ تَصْدِيقِ الوَاقِعِ المُشَاهَدِ :

قُلْ مرحباً !!... ؛ قُلْ أىَّ شىءٍ طيِّبٍ !!

لا تترك الكابُوسَ يُفسِدُ حُلمنا !!

ثُمَّ يَعُودُ العَقْلُ إِلَى يَقَظَتِهِ ... ؛ ذَهَبَ بُرْكَانُ الدَّهْشَةِ المُوجِعَةِ الَّتِى نَهَشَت القَلْبَ وَأَدْمَت المَشَاعِرَ ؛ كَى تَأْتِى حَالَةٌ مِنَ التَّأَمُّلِ الصَّامِتِ البَاكِى ... ؛ وَيَأْتِى

التَّعْبِيرُ فِى هُدُوءٍ قَاتِلٍ عَن حَقِيقَةِ مَصِيرِ أَبْنَاءِ هَذَا العَالَم :

أخشى من النِّسيانِ !!... ؛ قد يأتى غـدٌ

وتصيرُ وحـدَك فى الغيـابِ !!... ؛

ووحـدنـا !!

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ (٢) :

✿ ـ العَـارِف

قَصِيدَةٌ مَهْمُوسَةٌ مِن ذَلِكَ النَّمَطِ الَّذِى يُجِيدُهُ الشَّاعِرُ وَيُتْقِنُهُ ؛ تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ النُّفُوسِ الشَّاعِرَةِ ؛ صَاغَهَا فِى ثُلاثِيَّاتٍ طَرِيفَةٍ ؛ لا هِىَ بِالخَاطِفَةِ الَّتِى تَمُرُّ سَرِيعاً بِأَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا ؛ وَلا بِالطَّوِيلَةِ الثَّقِيلَةِ المَمْجُوجَة ... ؛ وَمَا أَجْمَلَ تِلْكَ الخَاتِمَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِى خَتَمَ بِهَا مَلْحَمَتَهُ الرَّائِعَة :

جـرعـتُ الكـأسَ يـا أختـاهُ... ؛ ثـمَّ خُطىً... ؛ وثـمَّ صِـراطْ

ويـا أُختـاهُ يحتـاطُ الظَّـلامُ... ؛ النُّـورُ لا يحتـاطْ

بهـذى الكـأسِ يعـرفُهُـم... ؛ ويعـرِفُ نَفْسَـهُ سُـقْـرَاطْ

✿ ✿ ✿ ✿ ✿

ـ (٣) :

✿ ـ رَكْعَةُ الشَّاهِد

قَصِيدَةٌ تَقِفُ فِى شُمُوخٍ بِحِوَارِ قَصَائِدِ فُحُولِ العَرَبِيَّةِ !!.

تَبْدَأُ القَصِيدَةُ بِشِطْرٍ طَرِيفٍ ؛ ثُمَّ يُتِمُّهُ شِطْرٌ جَلَّى الأَمْرَ وَأَزَالَ السِّتَارَ عَن حِقِيقَةِ الصُّورَةِ !!... ؛ ثُمَّ يَأْتِى أَوَّلُ البَيْتِ الثَّانِى بِهَذِهِ الفَلْسَفَةِ الرَّهِيبَةِ الَّتِى فَرَضَهَا عَصْرٌ أَجْبَرَنَا دَائِمَاً وَأَبَداً عَلَى الشُّعُورِ بِالغُرْبَةِ !!... ؛ إِنَّهَا غُرْبَةُ النَّفْسِ الحَائِرَة !!.

وحدى ومن ألفى أسيرُ لیائى
تتوحَّشُ الغُرُباتُ تحت ردائى
أمشى لكى أمشى وتلك إجابتى

وَقَد خُلِّدَت هَذِهِ القَصِيدَةُ بِكَلِمَاتِهَا المَأْثُورَةِ - أَى هَكَذَا أَضْحَت - المُبْتَكَرَةِ :

أأخِرُّ بين يدى يزيدٍ راكعاً
ودمُ الحُسين يسيل تحت ردائى

و :

أنا شاهد المأساة أكتب ما أرى
وأُؤرِّخُ الأيَّامَ بالشُّهداءِ

و :

سأقُولُ لاءاتى وأبتُرُ رُكبتى
كى لا تَخِرَّ لركعة استجداءِ

كُلُّ بَيْتٍ خُلِّدَ بِلا جِدَالٍ ؛ وَتِلْكَ هِىَ العَبْقَرِيَّةُ حَقّاً !!.

ـ (٤) :

۞ ـ قُل لِلمَلِيحَة

قَصِيدَةٌ مِن أَطْرَفِ قَصَائِدِهِ ـ وَأَعْنِى الطَّرَافَةَ لُغَةً ـ ؛ وَهِىَ مِن القَصَائِدِ الَّتِى أَتَت بِفِكْرَةٍ أَو قِصَّةٍ جَدِيدَةٍ ؛ وَهَذَا أَمْرٌ لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى هَذَا الشَّاعِرِ ... ؛ وَقَد بَدَأَهَا بِمَوْقِفٍ طَرِيفٍ ؛ فِيهِ دَعْوَةٌ لِلتَّيَقُّظِ وَالتَّنَبُّهِ :

سَمَّرتِ أَقْدَامِى بِبَابِ الْمَسْجِدِ !!

وَقَد بَلَغَ قِمَّةَ الوَصْفِ فِى قَوْلِهِ العَجِيب !! :

وَالنَّاسُ إِمَّا مُلْهَمٌ أَوْ حَاسِدٌ

وَلَقَدْ خُلِقْتِ لِتُلْهِمِى وَلِتُحْسَدِى !!

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

ـ (٥) :

۞ ـ مُخْتَارَات

ما مرَّ طاغيةٌ

أمامَ حديقةٍ

إلاَّ ومات الوردُ فى الأكمامِ

لم يبتَسِمْ يوماً

أمامَ كِلابِهِ
إلا وسالتْ دمعةُ الأيتامِ
لم ينكفِىءْ يوماً
على مَحْظيَّةٍ
إلا ودبَّ العُقْمُ فى الأرحامِ
مأساتُنا عِشْقُ الطغاةِ
كأننا
لم نَنْسَ - بَعْدُ - عبادةَ الأصنامِ

تِلْكَ مَقْطُوعَةٌ لا أَعْتَقِدُ أَنَّ فِى شِعْرِنَا العَرَبِىِّ مَا يُقَدَّمُ عَلَيْهَا مِمَّا هُوَ فِى مَعْنَاهَا !! ... ؛ كُلُّ بَيْتٍ يُعَادِلُ قَصِيدَةً رَائِعَةً تُبَشِّعُ طُغْيَانَ الطُّغَاة !!... ؛ وَمِنَ الجِنَايَةِ عَلَيْهَا أَن نَصِفَهَا بِكَلامِ المَدْحِ وَالثَّنَاءِ ؛ بَل الصَّمْتُ المُذْعِنُ خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى الاعْتِرَافِ بِأَنَّهَا مِن نِتَاجَاتِ عَقْلٍ عَبْقَرِىٍّ !!.